قسم اللغة والأدب العربي/ السنة الثانية ليسانس/ لغة –أدب نقد 2022/23

المحاضرة العاشرة: المَسْرَحِيَّة

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه الفطري، والجماعة بدورها تميل إلى عاداتها وتقاليدها الخاصة، وفور أن يؤمن الإنسان مأكله ومشربه ويتوفر على نسبة من الطمأنينة على نفسه ومكانه، تجده يبتكر ظواهر فنية جميلة أساسها الجمال والتعبير عن الأحاسيس والشعور.

و فن المسرحية من أعرق الفنون التي عرفها الإنسان في تاريخ الفنون والآداب العالمية، وقد عرف أطوارا ومراحل حتى وصل إلى الشكل الذي نعرفه حاليا، وقبل المسرح كان الشعر الملحمي في أمة اليونان ظاهرا على كل الفنون، من خلال أعظم عمل فني أدبي في تاريخ العالم القديم وهو ما أبدعه الشاعر الملهم **هوميروس** في ملحمتيه الإلياذة والأوديسة، وكانت أمة اليونان تجتمع في أعيادها الوطنية في مسرحها الأولمبي بأثينا تستمع لإنشاد مقاطع ملحمية تحكي عن أمجاد الأمة وانتصاراتها...، وكان الإنشاد مقتصرا على منشد واحد، وحينما أرادوا إطالة العرض بأكثر مما يطيق المنشد الواحد فلم يجدوا سوى إعانته بمنشد ثان، وبذلك ولد المسرح العالمي عند اليونانيين، وكان له أعلام مشهورون بتأليفه من أمثال إسخيلوس (456 ق م) ويوريبيديس (406 ق م)، أما أشهرهم فهو **سوفوكليس** (405 ق م).

وكان **أرسطو** (322 ق م) قد أبدع في نقد المسرح اليوناني والتنظير له، حيث يفرق فيه بين نوعين: المأساة والملهاة، أما **المأساة** فموضوعها فعل نبيل وأحداثها تاريخية وأبطالها من الأرستقراطيين ونهايتها مأساوية، وأما **الملهاة** فموضوعها فعل هزلي قد يكون قبيحا ويثير الضحك وأبطالها من أراذل الناس ونهايتها تبعث على السخرية[1]

تعريف فن المسرحية في الأدب العربي:

[1] ينظر: محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث: دار نهضة مصر، القاهرة، (دت) ،1997، ص: 538.

المسرحية هي جنس أدبي يروي قصة من خلال حديث شخصياتها وأفعالهم، وتدور فصولها على خشبة المسرح أمام الجمهور، وهنا وجب التفريق بين المسرحية والمسرح، فالمسرحية هي النص المسرحي القابل لأن يُمثّل، وأما المسرح فهو النص المسرحي ممثّلا على خشبته ومعروضا على جمهوره.

عناصر فن المسرحية في الأدب العربي

تتألف المسرحية من خمسة عناصر وهي:

– **1اللغة**: وهي اللغة التي يتشكل بها العمل الدرامي للمسرحية والتي يعبر بها الإنسان عن عواطفه ورغباته، وتخضع هذه اللغة إلى تحولات عديدة حتى تصل إلى مرحلتها النهائية، حيث تتشكل في مخيلة المؤلف فيحولها إلى عنصر مكتوب وفق الضوابط الفنية المسرحية، لتتحول أخيرا إلى حوار منطوق ينبض بالحياة على خشبة المسرح.

– **2الحوار**: وهو جملة ما تنطقه شخصيات المسرحية على خشبة المسرح، فالحوار هو عمدة العناصر الأدبية في النص المسرحي المكتوب، كما يعد إتقان تجويده في العرض أهم أسس نجاح العمل الفني المسرحي بصفة عامة.

– **3الشخصيات**: وهي النماذج البشرية التي يرسمها المؤلف المسرحي بقلمه أو خياله في النص المسرحي، وتنقسم هذه الشخصيات إلى رئيسية وثانوية يوظفها المؤلف وفق رؤيته الدرامية للنص المسرحي.

– **4الحبكة**: وهي الترتيب الخاص للأحداث وفق تنظيم معين وتوزيع محكم للفضاء، وتحديد دقيق للشخصيات وما تنطق به من حوار، بحيث تتحدد معالمها بفضل تلك الحبكة، ويتحقق هدف المؤلف من تأليف المسرحية، وهو إثارة الانفعالات والأفكار، ولا بد من التنظيم الفني لزمن العرض المسرحي وإحكامه لخدمة الهدف، وهو يختلف عن زمن الحكاية الذي ينطبق مع الزمن الواقعي التاريخي، ويختلف أيضا عن زمن الأحداث وهو المقصود بوحدة الزمن في **قانون الوحدات الثلاث** الذي اشترطه المسرح الكلاسيكي بحيث لا يتجاوز يوما واحدا، بالإضافة وحدة الموضوع ووحدة المكان.

– **5المؤثرات الفنية**: وهي تلك الملحقات الفنية – غير البشرية – التي تضفي على المسرحية لونا وجمالا يجذب الجمهور ويأسره، وتشمل هذه الملحقات: الديكور المجسد والرسومات، والأضواء والمؤثرات الصوتية، والأزياء والموسيقى.

نشأة فن المسرحية في الأدب العربي

لم يعرف الأدب العربي منذ القديم وإلى منتصف القرن التاسع عشر فن المسرحية ولا فن التمثيل، بل اكتفى بالشعر الغنائي الخالص، وسبب ذلك راجع إلى مجموعة من العوامل، أبرزها:

أولا: العامل الديني: تعود بدايات نشأة **الفن المسرحي** إلى أصول إغريقية ورومانية، حيث كانت تقام طقوس وثنية يُتقرب بها إلى آلهتهم المتعددة، وتكون هذه الطقوس على شكل غناء ورقص، ومع مجيء الإسلام الذي حرم الشرك والوثنية، لم يكن للعرب أن ينقلوا هذا الفن ذا الطابع الوثني ولا أن يحاكوه.

ثانيا: العامل الاجتماعي: كانت العصبية الجاهلية قديما تقيد دور المرأة وتبخسها حقوقها، ولا يُسمح لها بممارسة أي نشاط اجتماعي أو مهني، وفرض عليها قيودا صارمة وظالمة، إلى أن جاء الإسلام الذي كرمها وشرّف قدرها، وحفظ حقوقها، وبتطور العصور الأدبية انتهت بالمرأة كعنصر فعّال ومشارك رئيسي في الفنون، وعلى رأسها فن المسرحية.

ثالثا: العامل الفني: كان التزام العرب بوحدة الوزن والقافية في الشعر يمثل قيدا كبيرا لا يلائم المسرحيات التي تقتضي أن تكون مطولة تختلف أبياتها في الوزن والقافية.

كما أن الأدب العربي القديم كان مقتصرا على الشعر الغنائي، وهو في الأصل لدى الإغريق القدماء كان الناس ينشدونه برفقة بعض الآلات الموسيقية، أما المسرحية ففي القديم كانت شعرا تمثيليا، يضم شخصيات وحوارا وأفعالا، وتكون أمام الجمهور.

نشأة المسرح العربي:

كان مولد المسرح العربي في القرن التاسع عشر على يد الأديب اللبناني **مارون النقاش**، والذي عاش مغتربا في إيطاليا، واطلع على ثقافة ذلك البلد وأحوال أبنائه وأعجب بمسرحهم.

ولما عاد إلى بلاده حاول أن يدخل إليها هذا الفن، فراح يكتب القطع المسرحية، ويشكل فرق التمثيل على طريقة موليير المسرحي الفرنسي، وهكذا قام بترجمة مسرحية (البخيل) لموليير بعد أن أجرى عليها بعض التغييرات لتلائم الجمهور العربي، ثم كتب مسرحية (الحسود السليط) ، و(أبو الحسن المغفل)، وهكذا كانت الخطوة الأولى **لفن المسرحية في الأدب العربي** .

أشهر كتّاب المسرح العربي

بجهود الأديب مارون النقاش كان لبنان أول بلد يعنى بفن المسرحية كلون أدبي، وكان الاحتكاك المتقدم للبنان بالغرب سببا لظهور المسرح العربي فيه قبل غيره، وقد راق هذا اللون الجديد من الأدب أبناء الشرق، فأخذوا يكتبون العديد من المسرحيات، فوضع **سليم النقاش**، وهو ابن أخت مارون، ثلاث مسرحيات : (ميّ)، و(عائدة)، و(الظلوم دعجاء). وقامت في دمشق نهضة أخرى للمسرح على يد الشيخ **أحمد أبي خليل القباني**، وكان تأليفه – على حد قول خليل مطران ـ خليطا من هزل وجد، وكلام وغناء، يعرف عند الإفرنج بالأوبريت؛ وأبدع ضربا حديثا يسميه الغربيون (الباليه).

بعد ذلك أصبحت مصر قبلة يحج إليها المؤلفون والممثلون، حيث وجدوا فيها ميدانا خصبا لأفكارهم ومسرحياتهم، وقد أنشأ الخديوي اسماعيل الأوبرا الملكية، فجمع سليم النقاش من بيروت جماعة للتمثيل وقصد مصر سنة 1876، وكان لفرقته تأثير كبير في إقبال الجماهير على المسرح وتذوقه.

وقد عرف المسرح في مصر صولات وجولات عرفت تارة جمودا وتدهورا في قيمته الفنية، وتألقا وتميزا تارة أخرى، ولم يصل إلى درجة ذات قيمة في التأليف إلا مع **الشاعر أحمد شوقي** أول مؤلف للمسرحيات في الأدب العربي بدايةً من سنة 1927 وهي ست مسرحيات شعرية: (كليوبترا) و(مجنون ليلى) و(قمبيز) و(الست هدى) و(محمد علي بك) و(عنترة).

وفي مصر أيضا ظهر أكبر كاتب مسرحي عند العرب وهو **توفيق الحكيم** الذي ألف عشرات المسرحيات ذات الطابع الذهني الذي يسهل تصوره من خلال قراءته ويصعب

تمثيله على خشبة المسرح، ومن أشهر مسرحياته الذهنية: أهل الكهف، وشهرزاد، وبجماليون، والسلطان الحائر، والملك أوديب...

أما في لبنان فقد ظل المسرح يسير على طريقة الترجمة والاقتباس والتقليد، وعلى طريق التوجيه نحو المثل القويمة والبطولات الرفيعة، وتعميق الشعور الديني.

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، اتخذ التوجه الأدبي المسرحي طريقا جديدا نحو الواقعية الاجتماعية، ووضع **ميخائيل نعيمة** مسرحية (الآباء والبنون)، وفي سنة 1935 ظهر **سعيد عقل** بمسرحيته الشعرية (بنت يفتاح) ودرج فيها على أسلوب قدامى اليونان وعلى أسلوب الفرنسيين الكلاسيكي.

انتهى